دور النيل الأبيض في الثورة المهدية

د. الطيب أحمد هارون محمد

جامعة الإمام المهدي

المستخلص

الثورة المهدية هي واحدة من حركات البعث الإسلامي في القرن التاسع عشر، وتوفرت لها القيادة المحنكة المتمثلة في شخصية الإمام محمد أحمد المهدي ، الذي وضع لها الخطط والتدابير الكفيلة بضمان النجاح من سرية شديدة في الدعوة ، ولفترة طويلة لغرسها في نفوس القاعدة الشعبية بأسلوب حكيم ، بالدعوة إلى الزهد في الدنيا والإقبال على ما عند الله ، وإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما . هذه الدعوة كسب بها رجال الدين في خلاويهم ، وحرك بها رجال الطرق الصوفية في مساجدهم . ولفت نظر عامة الناس إلى الفساد الذي اعترى شعب الحياة ، وإلى ضرورة الاهتمام بمحاربته ، وأن الحكومة تأخذ المال من المواطنين بأساليب محرمة ، وقد امتنع عن الأكل في خلاوي القرآن التي تجد دعماً من الحكومة. هذه الدعوات كان يبثها بحنكة وذكاء شديدين ، وتمهل ، وتفعل في نفوس الناس ما تفعله النار في الهشيم .

عثر القائد على المكان الملائم لغرس بذرة الثورة المباركة في النيل الأبيض. وقد احتضن إقليم النيل الأبيض الدعوة والداعية لما كان يذخر به من رجال الدين والطرق الصوفية ، الذين استوعبهم القائد في دعوته بحكمة متناهية وكانت استجابتهم قوية ومحركة لكل قوى الشعب السوداني . وإضافة لكل ذلك وسطية المكان ، إذ كان النيل الأبيض يحتل مكان القلب من السودان ومكن ذلك الموقع المهدي الإمام من توزيع دعوته مع المسافرين شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فتجاوزت دعوته حدود السودان وبدأت تأخذ الطابع العالمي وأصبحت أمل البؤساء المغلوبين بقوى الاستعمار . وصدق أنصار المهدي معه في داخل البلاد وقدموا الغالي والنفيس من نفس ومال وبنين حتى انتصرت الثورة ، وما كان لها أن تنتصر لولا ما وحدته في النيل الأبيض من ميزات تفضيلية على غيره من الأقاليم .

Abstract

Mahdia Revolution is one of the Islamic revival movements in the nineteenth century. It has had the astute leadership in the personality of Imam Mohammed Ahmed El Mahdi, who put her plans and the suitable measures to ensure the success in secrecy call for a long time, to be planted in the hearts of grassroots in a wise manner through the call to asceticism in life and the turnout for God and the revival of the buried Quran and Sunnah till they straighten. This call earn clergy men in their Khalwas , and move the Sufi in their mosques, drew public attention to the corruption that behaved all the aspects of life, the need to fight that corruption, and that the government is taking money from citizens in a prohibited way. He refrained from eating in Koranic khalwas which find support from the government. He broadcasted These calls with great tact, intelligence and amble.

The leader found the appropriate place to plant the blessed seed of revolution in the White Nile region .The White Nile embraced the call and the caller because it was abounded with clerics and sufi who were included by the leader in his call wisely. Their response was strong and gave a driving force to all Sudanese people. In addition to that, was the intermediate place of the White Nile which was the heart of Sudan and enabled the Imam to distribute his call through the traveler to all over the Sudan. So, his call exceeded the Sudan borders and began to take the

global nature and became the hope of the wretched and the defeated by the forces of colonialism. Ansar El Mahdi proved sincerity with him inside the country and offered the pricey and precious of souls, money and sons until the victory of the Revolution. This revolution would not be able to win without the support of the White Nile region which has preferential advantages distinguished it from the other regions

المقدمة

الثورة المهدية هي واحدة من حركات البعث الإسلامي في القرن التاسع عشر . مفجرها هو الشيخ محمد أحمد بن عبد الله . ولد في منطقة دنقلا في شمال السودان ، وانتقل مع أسرته إلى منطقة الخرطوم ، عاصمة السودان . وهناك حفظ القرآن ودرس علوم الدين والتصوف على أيدي مشائخ الخلاوى المتعددة في المنطقة .

وكان الشيخ محمد أحمد (المهدي) زاهداً في الدنيا وراغباً في ما عند الله . وشهد له بذلك كل من رآه أو عايشه من الناس حتى تناقلت أخباره الركبان ، وحاز على ثقة كل من سمع به في كل أنحاء البلاد .

كان السودان وقتذاك تحت الحكم التركي المصري . وقد أصاب السودانيين كثير من الظلم جراء فساد حكام ذلك العهد . وكان الشيخ محمد أحمد بن عبد الله يلاحظ أنواع ذلك الفساد ، وكان يلاحظ مدى معاناة المواطنين منه ومدى كرههم له ، وأحس بأمانيهم العميقة بزواله .

قرر الشيخ محمد أحمد في نفسه أن يقود ثورة تطهر البلاد مما لحق بأهلها من الشقاء والبلاء . وفكر جيداً من أين يبدأ ، وكيف يبدأ ، وفكر جيداً في ضمان نجاح ثورته ، وكان يقلب وجهات نظره ، سراً ، في رسم الخطط التي يمكن أن تقنع الناس بأن يلتفوا حوله ويثوروا في عنف وبغير تردد . وأخيراً قادته أقدار الله إلى المكان الذي يمكن أن يبدأ منه ثورته ، إقليم النيل الأبيض . حيث اقتنع بمميزات هذا الماكن الذي يتوسط السودان شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، وأن الإقليم يشتمل على عدد كبير من مشائخ الدين ، ومن الشخصيات الوطنية المتفهمة لما يريد أن يعمل . واستغل تلك المميزات للتخطيط لثورته أفضل استغلال .

تعريف بنشأته وشخصيته

ولابد للتعريف بشخصية صاحب الاسم الكبير(المهدي) أن نبدأ بذكر المكان والزمان لميلاد هذا العلم الشهير. كما أنه لابد من الإلمام بملامح نشأته إلمامة مفيدة للقاريء وطالب المعرفة . ولابد كذلك من الإشارة إلى سر نجاح ثورته العظيمة .

أما من حيث زمان ومكان الميلاد فقد ذكر المؤرخ نعوم شقير أن محمد أحمد (المهدي) ولد في جزيرة ضرار من أعمال دنقلا سنة ١٢٥٨هـ الموافقة للعام ١٨٤٣م[٢] بينما ذكر علي المهدي* أنه ولد في جزيرة لبب . وهذا هو المعلوم والمشهور في كل كتب التاريخ التي تعرضت بالذكر لمولد محمد أحمد .

ولإزالة اللبس بين الخبرين نؤكد أن كلا الخبرين صحيح لأن جزيرة ضرار هي الإمتداد الجنوبي لجزيرة لبب مما يعني بالضرورة أن جزيرة ضرار هي جزيرة لبب ، لأنه في الخبر الأول أطلق شقير الجزء وأراد الكل . ويختلف على المهدي مع نعوم شقير في تاريخ ميلاد محمد أحمد أيضاً إذ يذكر أنه ولد في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٠ هـ الموافقة لسنة ١٨٤٥م[٣] . أما سبب الإختلاف في تاريخ الميلاد فمرده إلى أن الأطفال في ذلك الوقت يولدون بغير شهادات ميلاد .

كان والد محمد أحمد يعمل نجاراً في صناعة المراكب والسواقي[٤] وقد انتقل بأسرته من منطقة دنقلا جنوباً طلباً للخشب الصالح لتلك الصناعة ، إذ قل توفره في منطقة دنقلا لكثرة الطلب عليه في غاباتها . وواصلت الأسرة تنقلها جنوبا لذلك الغرض حتى وصلت منطقة شندي . وفي قرية كرابيج توفى رب الأسرة ، وورث أبناؤه الكبار مهنته ، ثم رحلت الأسرة إلى كرري[٥] . وأدخل محمد أحمد الخلوة وحفظ القرءان في صباه كما يفعل عامة الصبيان في زمانه . ودرس العلم على أيدي عدة شيوخ في خلاويهم ، أولهم شرف الدين عبد الصادق ، ثم الفكي محبوب الحبشي ، ثم الفكي معتوق أحمد شجر الخيري* ثم الشيخ محمود المبارك في خلوة بري[٦]، ثم درس محمد أحمد النحو والفقه والتوحيد على يد الشيخ الأمين الصويلح في ود عيسى بالجزيرة ، ثم على يد الشيخ محمد الخير في خلاوي الغبش تجاه بربر ، واشتهر بالزهد والتقوى[٧] . ويذكر نعوم شقير أن محمد أحمد سلك الطريقة السمانية على يد الشخ محمد شريف نور الدائم في سنة ١٢٧٧هـ ١٨٦١م في أم مرحي[٨] بينما يرجع علي المهدي بذلك التاريخ إلى سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥١م). وأظهر محمد أحمد لشيخه من مظاهر الخضوع ما يعز على غيره من طحن

وعوس واحتطاب . وكان تقياً ورعاً، إذا وقف للصلاة بكى حتى تبتل الأرض بدموعه[٩]، كما شهد له بذلك أستاذه في قصيدته الرائية والتي جعل عنوانها (النصيحة) .

عندما اقتنع الأستاذ محمد شريف بأن تلميذه محمد أحمد أجاد الطريقة علماً وسلوكاً أجازه شيخاً وأذن له في تسليك المريدين في الطريقة السمانية[١٠] بعد أن اجتاز مرحلة ممارسة التصوف علماً وعملاً .

انتقل محمد أحمد بعد ذلك إلى ممارسة أعمال يكسب منها عيشًا لإعالة نفسه بعد أن كفل أخوته معيشته في فترة طلبه للعلم . وفي الوقت الذي كان ينتقل فيه محمد أحمد بين الخلاوي وشيوخها كان أخوته ينتقلون جنوباً على ضفاف النيل الأبيض تبعاً لوفرة الأخشاب

الصالحة لصناعة المراكب . وذلك لقلة الأخشاب المطلوبة لتلك الصناعة في منطقة الخرطوم . وأخيراً استقر بهم المقام في الجزيرة أبا في سنة ١٢٨٦هـ ١٨٧١م[١١] .

وبعد أن انتهى من الدراسة في الخلاوي احترف محمد أحمد التجارة الهامشية ، وبدأ حياته العملية بالتجارة في حطب الحريق في الخرطوم . وفي سوق الخرطوم علم من امرأة اشترت منه حطباً أنها تريده لصناعة السورج• فأنفق ما عنده من خشب للناس وترك بيع الخشب نهائياً، وانتقل للتجارة في الذرة . واشترك مع تاجر آخر في تلك التجارة . ولكن محمد أحمد اختلف مع شريكه لأن الشريك يريد التريث في البيع والابتعاد عن السوق للحصول على مزيد من الربح ، ومحمد أحمد يريد البيع في الحال . وفارق شريكه وقال له

(ماذا نقول لربنا إذا ما خاطبنا بأن الدنيا غدوة وأننا سافرنا نطلبها)[١٢] .

الرحلة إلى النيل الأبيض

في الخرطوم تزوج محمد أحمد زوجته الأولى فاطمة بنت حاج[١٣] . وبعد ذلك انتقل إلى الجزيرة أبا في إقليم النيل الأبيض ليلحق بإخوته الذين سبقوه إلى هناك . ونزل في يومه الأول على قبيلة دويح حيث وصل حيهم في المساء ، وسألهم عن أخيه محمد وقالوا له يقيم في غرب (القوز السّمين)♣ في وسط الجزيرة أبا – المكان الذي تقوم عليه سراي السيد عبد الرحمن الحالية – وطلبوا منه أن يقضي

معهم ليلته حتى الصباح لأن الطريق (خر خير)♦ ولأن البلد فيها الوحوش كالأسود والنمور والذئاب ، وأنهم سيبعثون معه في الصباح من أفرادهم من يوصله إلى أخيه . ولكن محمد أحمد أضمر في نفسه الذهاب إلى أخيه حسب الوصف الذي قالوه له . وبعد أن نام الحي حمل محمد أحمد فروته♠ على كتفه وسار حسب الوصف المرسوم حتى وصل مكان أخيه[١٤]. وفي الجزيرة أبا صار يعرف بالشيخ محمد أحمد .

ومن الأعمال التي قام بها محمد أحمد في الجزيرة أبا بناء مسجد للصلاة ، وخلوتين لتدريس القرآن ، إحداها في قرية دويح ، واتخذ غاراً® للعبادة ، وشرع يمارس (الرياضات الروحية[٤٥]) من تزكية للنفس بالخلوة ، ومحاسبة النفس والذكر ، إلى عمران الجزيرة بالركع السجود ، إلى تحفيظ الناشئة القرآن ، وتوعية وتوجيه الآباء بالوعظ والإرشاد .

المسجد الذي أسسه والخلوة الملحقة به هي أول مسجد وأول خلوة تنشأ في الجزيرة أبا. والناس الذين سبقوه إلى الجزيرة أبا كان همهم الأول المعاش من رعي وزراعة وصناعة ولكن الشيخ محمد أحمد أدخل على سكان المنطقة هما جديدا هو هم المعاد¥ ليكتمل مفهوم حياة المسلم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين)[١٥] ولم يمض من الوقت إلا قليلاً حتى زاع صيته وكثر أتباعه[١٦] .

محمد أحمد يمهد لثورته

منذ أن قدم محمد أحمد على الجزيرة أبا شرع في تأسيس علاقاته الاجتماعية في المنطقة ويتعرف على زعمائها والشخصيات البارزة والمؤثرة فيها . بدأ بقبيلة دويح منذ لحظة دخوله إلى أبا . ثم تعرف على قبيلة الصبحة والعمارنة في قرية الهجاليج ، أكرموه وأعطاه الصبحة بلاداً (مزرعة مطرية) في مناطق زراعتهم المطرية في أراضي قفا كان يزرعها[١٧]، وكان يزور كل قبائل المنطقة باستمرار ومنها قبائل دار

محارب التي يتزعمها وقتذاك بلة محمد علي ، وهو يقيم في قوز أبي جمعة (ربك)[١٨] . واتصل بالدناقلة في قرية أم غنيم وتعرف على أكثر الشخصيات بروزاً فيهم وهي شخصية محمد عثمان أبي قرجة . وكثرت زياراته له حتى أن أبا قرجة بنى لمحمد أحمد خلوة[١٩] خاصة بضيافته لا ينزل فيها غيره من الضيوف . وتعرف على الأحامدة ، وطاف على مشائخ الطرق الصوفية في إقليم النيل الأبيض ، فزار الشيخ محمد مضوي في العليقة ، وهو من قبيلة الأحامدة ، ومن أكبر زعماء الطرق الصوفية ، وله خلوة كبيرة لتدريس القرآن مشهورة جداً أنشأها أسلافه وخرجت عدداً كبيراً من الحفظة ، وكل الذين حفظوا القرآن من قبيلة دغيم – ومنهم علي ود حلو – حفظوا القرآن في خلوة العليقة . وتكررت زيارات الشيخ محمد أحمد للعليقة وتوثقت علاقته بالشيخ محمد مضوي . وفي مسيد (مسجد) أو خلوة العليقة تعرف الشيخ محمد أحمد على الشيخ علي ود حلو . ولما أوقد نار القرآن في الجزيرة أبا طلب من الشيخ محمد مضوي أن يمده بأحد تلاميذه ليدرس التلاميذ في خلوة الجزيرة أبا ، وقد رشح الشيخ محمد مضوي ثلاثة منهم ليذهب أحدهم مع الشيخ محمد أحمد ، ولكنهم اعتذروا جميعاً. وتبرع الشيخ علي ود حلو بالموافقة على الذهاب إلى الجزيرة أبا . ولشدة حب الشيخ محمد مضوي للشيخ على ود حلو أبدى اعتراضه على ذهابه مع الشيخ محمد أحمد . ولكن أصر الشيخ علي ود حلو على الذهاب مع محمد أحمد . فقال له الشيخ محمد مضوي (يا هو زولك). وسمح له بالسفر وطلب منه ألا ينقطع عنه . وقال الشيخ محمد مضوي للشيخ محمد أحمد : (أنا سلمتك ليه في الدنيا وعايزك تسلمني ليه في الآخرة) . ولم يسبق للشيخ محمد أحمد أن التقى بالشيخ علي ود حلو في غير العليقة[٢٠] . وبذلك ومن هناك بدأت الصحبة بين الشيخ محمد أحمد والشيخ علي ود حلو .

أنشأ الشيخ محمد أحمد علاقة مصاهرة لتمتين علاقاته مع قبائل المنطقة إبتداءً بقبيلة دويح ، وأنشأ في قريتهم (المرابيع) خلوة لتدريس القرءان ، وتزوج للمرة الثانية فاطمة بنت رحمة أخت ناظر قبيلة دويح . امتدت علاقة الشيخ محمد أحمد إلى قبيلة دويح في منطقة (السدر) وتزوج منهم زوجته الثالثة فاطمة بنت حسين ، ربيبة• ناظر دويح هناك إسماعيل ادم الدود ، وكناها بأم المؤمنين[٢١] تمييزاً لها من بين نسائه وتشريفاً لنسبه من هذه القبيلة ، وذلك في قرية (أم بطحي) الحالية . وصاهر قبيلة المساعداب ، في جنوب غرب الحزيرة أبا ، حيث تزوج من قرية تسمى أم تابة زوجته حوة الجلالة[٢٢] . ثم تزوج من

القطينة ثلاث زوجات هن : حرم بنت النور ود حسين بصير ، وبخيتة بنت الفكي علي ود الفكي عبد الله ، وأم سلمى بنت عبد الله الشوشي [٢٣]. وبذلك استخدم صلات المصاهرة لربط أهل الإقليم بشخصه ، ليسهل ذلك توصيل خطابه ، الذي يضمره قي ذلك الحين ،إليهم .

لم يكتف الشيخ محمد أحمد ببناء علاقاته الإجتماعية المحلية ومصاهرة قبائل المنطقة فحسب وإنما أخذ يوسع دائرة علاقاته حتى مع من لم يلتقه من سكان الأقاليم البعيدة ، رجالاً ونساء ، عن طريق الرسائل المكتوبة والشفهية ، مستقلاً وسائل الإتصال البدائية آنئذ ، مستفيداً من وقوع الجزيرة أبا على طريق الإتصال مع جنوب السودان عبر النيل الأبيض ومع شماله كذلك ، بل في كل أنحاء البلاد ، ومستفيداً كذلك من رحلات المسافرين بين غرب البلاد وشرقها ، طلباً للمعاش أو الحج ، على توسيع دائرة صلاته مع الرموز الإجتماعية المؤثرة في محيطها حسب ما يتوفر له من معلومات كان يبحث عنها دوماً . والجزيرة أبا تقع في مكان السرة من السَّودان . وتفكير الرجل كان كلياً ، خرج من الجهوية وتحررمن القبلية والسببية المادية الضيقة ، فوضعه في صف العباقرة الملهمين . استغل كل إمكاناته وإمكانات الاجتماع والجغرافيا وعلم النفس لخدمة مشروعه الذي لم يفصح عنه .

وكنموذج لذلك راسل الضو ود سليمان قاضي فشودة [٢٤] ، و الحاجة آمنة بنت الفقه محمد نور ومن معها ، ومشائخ قبائل غرب السودان في كردفان ودار فور ، ومشائخ شرق السودان ، ومشائخ شمال السودان ، فرداً فرداً . يخاطبهم بالإسم كأنه عايشهم ، بلهجة مفعمة بالحب والتقدير كأنه جزء منهم . ولعمري كأنه عالم نفس مستغرق في علمه. بذلك عاش في وجدان كل فرد من الزعماء قبل ، ان يروه . وهذا من أسرار نجاحه .

وبوجوده في الجزيرة أبا ، وببروز شخصيته التقية النقية ، صارت هذه الجزيرة محل اهتمام واحترام المارين بها من المسافرين . وكانت البواخر حينما تمر بها تخفف من سرعتها تحية للولي الذي يقطن فيها . وكان بعض موظفي الحكومة يزورون الشيخ محمد أحمد في طريق رحلتهم إلى الجنوب أو إلى الشمال . وكان ركاب المراكب على النيل الأبيض ينزلون عنده ويتبركون به كولي صالح ويتلقون منه الإرشاد . وكانت الحكومة تعامله باحترام [٢٥]، مما دعم تعلق الناس به ، وذلك مع ملاحظة أن الشيخ محمد أحمد لم يملك شبراً من أرض الجزيرة أبا ولا في غيرها ، ولعلها مهابة دخلت في نفس الحكومة لشدة تدين الرجل في زمن كان فيه التدين وحده كافياً لجلب المهابة والوقار للمتصف به .

بهذا يتضح أن الشيخ محمد أحمد منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزيرة أبا لم يغير مكان إقامته فحسب بل بدأ يعدل في منهج حياته ، إذ كان اهتمامه قبل أن يأتي إلى أبا قاصراً على تحصيل العلم وممارسة التصوف نظراً وعملاً ، لما فيه من تزكية للنفس .

بعد أن طاب المقام للشيخ محمد أحمد في الجزيرة أبا ، وفي أثناء زياراته المتكررة لشيخه الأستاذ محمد شريف نور الدائم أقنع الشيخ محمد أحمد شيخه الأستاذ بالانتقال من قرية القادرية* في جبل الأولياء إلى العراديب (جنوب مدينة الكوة على النيل الأبيض بين أبا والكوة) فانتقل إليها الشيخ الأستاذ سنة ١٢٨٨هـ الموافق ١٨٧٢م . وكان الشيخ محمد أحمد يزور خلالها أستاذه محمد شريف في العراديب بانتظام ويقدم له كل فروض الطاعة ، والإمتثال لإرشاداته ، ويظهر له كل مظاهر الاحترام ، ويظهر أمامه مظهر الذل والإنكسار كما شهد بذلك الأستاذ محمد شريف في قصيدته التي يكذب فيها المهدي .

اختلافه مع أستاذه محمد شريف

ولكن صفو الود لم يدم بين الرجلين أكثر من سبع سنوات أو ثماني سنوات من انتقال الأستاذ إلى النيل الأبيض ، إذ حدثت بينهم القطيعة ، بل المفاصلة .

ذكر المؤرخون أسباباً كثيرة للقطيعة بين الشيخ محمد أحمد وأستاذه محمد شريف ، ومنها ظهور ملامح شخصية محمد أحمد وميل الناس إليه ، وانصرافهم عن الأستاذ محمد شريف ، مما دفع الأخير إلى أن يزرع المشاكل لتلميذه . وأدى ذلك إلى نفور محمد أحمد من أستاذه ، ولقد لاحظ في بعض تصرفاته مخالفة لتوجيهات الشريعة الإسلامية ، منها أنه كان يقبل النساء في مجلسه ، ويسمح لهن بتقبيل يده . وصار محمد أحمد يذكر تلك الملاحظات لأستاذه وأن ذلك يخالف الشرع الإسلامي . ومنها أن الأستاذ محمد شريف أذن لتلاميذه بالرقص والغناء في احتفال ختان أنجاله . فحدثت القطيعة بين الرجلين في سنة ١٢٩٥هـ أو في سنة ١٢٩٦هـ[٢٦] . ١٨٧٩ . ١٨٨٠م . .

وهذه الأسباب لا يطمئن إليها مؤرخ جرد نفسه من الهوى ، وذلك لعدة أسباب منها :

أن الأستاذ محمد شريف ذكر في قصيدته الرائية (التي جعل عنوانها "النصيحة") أن سبب الخلاف بينه وبين تلميذه محمد أحمد (المهدي) أن محمد أحمد ادعى المهدية وطلب منه أن يعاونه على أمرها . فقال له الأستاذ محمد شريف : (استقم)[٢٧] فتلك عقبة من عقبات الطريق ، وأصَّر محمد أحمد على ادعائه المهدية . فطرده الأستاذ من تبعيته ، ذكر ذلك في الأبيات التالية :

فقال أنا المهدي فقلت له استقم* فهذا مقام في الطريق لمن يدري

وخادعني بالقول كالمهدي ابنكم ومحسوبكم في الحب في عالم الذر
فقم معي لنصر الدين نقتل من عصا فأنت لك الكرسي ولي دول الغير
فقلت له دع ما نويت فإنه وتالله شر قد يجر إلى الخسر
وقال له الشيطان بشر ولا تخف فإنك منصور على البر والبحر
وقد فهم القولين فهم أولى النهى ومال إلى حب الرياسة والجبر
ومن ذلك النادي أبى وأبيته وأفتيت فيه بالضلال وبالكفر[٢٨]

ويقول نعوم شقير أن ما قاله الشيخ محمد شريف في سبب العداء بينه وبين محمد أحمد قد أكده لي شفاهةً بعد غزو أم درمان ١٨٩٨م[٢٩] .

وقد شاعت قصة حادثة ختان أنجال الأستاذ محمد شريف سبباً رئيساً للمفاصلة بينه وبين محمد أحمد (المهدي) في كتابات المؤرخين ، والأجانب منهم على وجه الخصوص[٣٠].

مثل (Theobald) يقول : (أن محمد أحمد كان يغادر الجزيرة أبا من حين إلى آخر لزيارة شيخه محمد شريف ليقدم له فروض الولاء والطاعة . وفي إحدى زياراته له فوجئ محمد أحمد بأن الشيخ يقيم حفلاً لختان أبنائه بموسيقى ورقص ومظاهر للفرح تخالف أساسيات الإسلام . فأبدى محمد أحمد إعتراضه على ذلك بحزم وقوة ، فأثارت ملاحظاته غضب الشيخ عليه ، مما جعل الشيخ يرفض ثلاث محاولات لإعتذار محمد أحمد)[٣١]

وقد اتخذت هذه القصة سبيلها إلى مناهج التعليم في السودان حتى أخذت بها الأجيال المتعاقبة كحقيقة ، وصارت لا تعرف غيرها من علل الخلاف . ولكني أرى أن هذه الحادثة لا تصلح أن تكون سبباً وجيهًا للخصام الذي حدث بين الرجلين وأفسد علاقة عشرين عاماً من الثقة المطلقة ، لأسبابٍ ألخصها في الآتي :-

١- لا يمكن أن تكون حادثة الختان المذكورة هي أول مناسبة فرح حدثت في بيت الأستاذ محمد شريف سواء كانت المناسبة ختاناً أو زواجاً في مدة عمر العلاقة بين الرجلين (٢٠عامًا) حتى يفاجأ بها محمد أحمد ، ومراسيم الفرح في كلا الحالتين واحدة حسب العرف الجاري في السودان حتى عهد قريب ، ولم يحدث خلاف بين الطرفين طيلة تلك المدة الطويلة .

لا يعدو السبب ، في رأي ، عن أحد أمرين هما أن ذلك الضلال كان يمارس في بيت الشيخ طيلة العشرين سنة الماضية ومحمد أحمد غاض الطرف عنه أو راض به وأنكره ذلك اليوم ، وهذا غير معقول ، وإما أن يكون سبب آخر سأذكره بعد .

٢- وقد سكت محمد أحمد عن تعليل ذلك الخلاف مما أفقد رواية مناسبة الختان عنصر التوثيق الأولي . لذلك جاءت شائعة في الأفواه وأخذت طريقها إلى الكتب بغير مرجع ولا دليل ولا تحقيق .

٣- مظاهر الذل والخضوع التي كان يبديها محمد أحمد لأستاذه محمد شريف تؤكد ثقة التلميذ محمد أحمد في أستاذه فهماً للدين والتزاماً به ، وإلا لتحول محمد أحمد في سنيه الأولى إلى شيخ آخر يفوز بثقته . والسودان ملئ بالمشايخ الصوفيين .

٤- الأستاذ محمد شريف شيخ لطريقة من كبرى الطرق الصوفية في السودان ، وهو المسئول عن إرشاد الناس• في دينهم ، فكيف يغفل عن إرشاد أهل بيته ويسمح لهم بممارسة عمل يصطدم بأساسيات الدين ؟ .

٥- المؤرخون الذين قالوا بحادثة الختان سببا للخلاف بين الأستاذ محمد شريف والشيخ محمد أحمد (المهدي) لم يورد أحد منهم مصدر الرواية منسوباً إلى شاهد عيان أو منسوباً إلى محمد أحمد (المهدي) أو إلى أحد أبنائه أو إلى خليفة المهدي بأن قال حدثني أبي ، أو منسوباً إلى أي شخص آخر عن محمد أحمد المهدي ، مع ملاحظة أن شهود ذلك الخلاف كانوا أحياء عندما تم تدوين تلك الرواية. لذلك يعتمد هذا القول على شائعة تفتقر إلى التوثيق مما ينفيها كلياً .

وبذلك تتأكد صحة القول بأن سبب الخلاف بين الرجلين هو ادعاء محمد أحمد (المهدي) للمهدية . ولا شك في أن الأستاذ محمد شريف مصدر أولي في هذه الحادثة، ولا يصح لمؤرخ أن يترك مصدراً أولياًويعتمد على شائعة مهما كان التعليل ، لأن التعليل ظني ولا يترك اليقين للظن .

لذلك يتأكد لي أن إدعاء محمد أحمد للمهدية هو العلة الراجحة لتلك القطيعة والسبب المباشر لها . وقد أصبح لمحمد أحمد رأي في إصلاح الفساد الذي كان سائدا في ظل الحكم التركي المصري وقتذاك .

أدب الطريقة لا يقبل للمريد أن يكون مستقلا في شخصيته وفي آرائه وهو ما زال تحت الإرشاد والتسليك (فقال أنا المهدي فقلت له استقم) . وبادعاء محمد أحمد للمهدية يكون قد أصبح صاحب رأي مستقل ، وتكون شخصيته قد طغت على شيخه ، ويكون تجاوز مقام التبعية إلى مقام الريادة والمشيخة . فلابد أن تحدث القطيعة .

أدب الصوفية ينص على أن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة وظاهرة ، لذلك يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به ليهديه إلى سواء السبيل وعلى المريد أن يتمسك بشيخه تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد ، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخة إذا أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه ولو أصاب . وعلى شيخه أن يعصمه بحصن حصين ويدفع عنه قواطع الطريق[٣٢] ، فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد ولم يقو على كشفه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة ، وذلك هو الهلاك العظيم[٣٣]. ومحمد أحمد (المهدي) كان يعلم ذلك ويعتقده ويخشى عواقبه . فقد روى الفقيه حمد الصادق ، أحد تلاميذ القرشي ود الزين ، أن الإمام المهدي أخبرهم أنه منذ زمن طويل كان يسمع الهواتف تبلغه أنه المهدي المنتظر وتناديه أحياناً قائلة : (يا مهدي الله ، وأحياناً يا المهدي ، وأحياناًمرحباًبالمهدي). فيعرض عنها ويستعيذ بالله . ولم يثق فيما تلقى إليه تلك الهواتف ، بل كان يظن أنها من فعل شيطان يريد أن يضلله[٣٤].

يرى الباحث أن الخلاف صوفي في أصله وفي مادته . وما يؤكد هذا الرأي أنه لم يمر على الخلاف أكثر من عامين حتى أعلن محمد أحمد دعوة المهدية على الملأ . وأن العامين بين الخلاف وإعلان المهدية كانا عاما إعداد وتخطيط لإخراج الحركة الإصلاحية الشاملة في السودان بصورة تستقطب كل الشعب . ولا يعقل أن يتم هذا العمل الكبير في شهور قليلة .

ذكر الأستاذ محمد شريف أنه لما أعلن له محمد أحمد أنه المهدي المنتظر زجره ونهاه عن هذه الدعوى مراراً . ولما أصر محمد أحمد على ما أدعاه عقد معه مجلساًفي الجزيرة أبا جمع إليه القضاة والنظار وبعض الأخيار كعبد الرحمن اللبيح ناظر اللحويين وأحمد جفون ناظر الشانخاب ويوسف أبو جمعة ناظر الجزائر ومحمد حسن قاضي الجهة من أكابر أبا . ولكن أصر محمد أحمد على دعواه وخرج من مجلسهم[٣٥]. وكل ذلك يؤكد أن سبب الخلاف بين الأستاذ وتلميذه خلاف صوفي وليس بسبب ممارسة فساد في منزل الأستاذ .

وفي فترة الخلاف بين الأستاذ محمد شريف والشيخ محمد أحمد زار الشيخ محمد أحمد وتلاميذه قرية الطويلة فدخل مع الشيخ رضوان وتلاميذه في صدام دموي رضخ* فيه جسم الشيخ محمد أحمد وكسرت يد علي ود حلو ، فاشتكى الشيخ محمد أحمد إلى ناظر الكوة الشيخ بابكر رحمة الدويحي[٣٦]، فاعتقل ناظر الكوة تلاميذ الشيخ رضوان الذين وجهت لهم تهمة الاعتداء وأودعهم الحبس . ولكن

تدخل الأستاذ محمد شريف في القضية وأجرى الصلح بين طرفيها ، وعفا محمد أحمد عن تلاميذ الشيخ رضوان ، فأفرج عنهم ناظر الكوة[٣٧]. وقد أورد الأستاذ محمد شريف ذكر هذه الحادثة في قصيدته الرائية في قوله :-

وقد جاء للعلوب في سفهائه وقد رده الأتباع بالجبر والقهر

انتقاله إلى الشيخ القرشي وبدء إعلان المهدية

لما استحكم الخلاف بين الشيخ محمد أحمد والأستاذ محمد شريف ذهب الشيخ محمد أحمد إلى قرية المسلمية على النيل الأزرق وطلب من الشيخ القرشي ود الزين* أن يقبله مريداً عنده . واستجاب له الشيخ القرشي ونقل الشيخ محمد أحمد طاعته وولاءه إلى الشيخ القرشي ود الزين ، واستطاع محمد أحمد أن ينال ثقة شيخه فيه وإعجابه به ورشحه ذلك لأن يخلفه ، خاصة وقد كان شيخاً كبيراً ، وتوفي الشيخ القرشي بعد ذلك بوقت قصير ، واعترف تلاميذه بمحمد أحمد أستاذاً جديداً لهم ، كما تأكد مركزه كزعيم للطائفة السمانية هنالك[٣٨] .

شرع تلاميذ الشيخ القرشي في بناء قبة على قبره ومن بينهم محمد أحمد . وبينما كان محمد أحمد يشارك في بناء القبة جاء إليه رجل من غرب السودان يدعى عبد الله محمد ادم وتعرف على محمد أحمد وصار صديقاً حميماً له[٣٩]. وقضى الله أن يكون ساعده الأيمن فى الدعوة المباركة وخليفته في إدارة الدولة من بعده وسط مدلهمات خطوب يضل فيها عقل الحليم ، لمدة ثلاث عشرة سنة انعدمت فيها المعينات وتنكر فيها المعينون ، وأحاط فيها الأعداء البلاد إحاطة السوار بالمعصم .

أما عن كيف بدأت الدعوة وكيف تطورت إلى أن أصبحت ثورة زلزلت الأرض تحت أقدام المستعمرين ، ودوى صوتها المجلجل في أرجاء المعمورة فقد كان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩٨هـ الموافق مارس ١٨٨١م أسرّ محمد أحمد إلى صديقه عبد الله محمد آدم (خليفته الأول فيما بعد) بأنه المهدي المنتظر ، ثم خرج سائحاً إلى كردفان في رفقة تلاميذه وأخصائه ، يلبسون لباس الدراويش ، الجبة* المرقعة والسبحة والعكاز وإبريق الفخار، يسر إلى أخص مشائخها وأعيانها باصطفاء الله له بالمهدية ليطهر البلاد من الظلم والفساد ، وأن وقت ظهوره لم يحن . ومر بطوافه بجبال النوبة وأسر بدعواه للملك أدم ود بالة . وكان غرض الشيخ محمد أحمد من تلك الرحلة استطلاع رأي الشعب في دعواه وكشف البلاد التي تصلح للهيجان* وشن الغارة بعد إشهار دعواه . وحدد جبل قدير مكاناً لهجرته[٤٠] .

وفي ذات العام ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) قدم إلى الجزيرة أبا الشيخ عبد الرحمن القرشي ود الزين والفقيه حمد الصادق لزيارة الشيخ محمد أحمد في الجزيرة أبا ، وأسر لهما الشيخ محمد أحمد بأنه المهدي المنتظر . وبعد ذلك شرع المهدي يكاتب ويتصل ببيوت الدين وبأعيان القبائل ويلتمس مدى استعدادهم لمعاونته على أمر المهدية[٤١] .

ذهب الشيخ محمد أحمد إلى الدناقلة في قرية أم غنيم ، و جمعهم وخاطبهم بلغة الدناقلة (بالرطانة) ، وبايعوه على النصرة . ولكن لم يشارك الدناقلة في أم غنيم في موقعة الجزيرة أبا في أغسطس ١٨٨١م ، لأن المعركة كانت خاطفة لم تمكنهم من حضورها ، لأن العدو خطط لها أن تكون مفاجئة ومباغتة ليقبض على القائد المهدي ويسرع به عائداً إلى الخرطوم حياً أو ميتاً ، ولكنهم لحقوا بالمهدي في قدير[٤٢] .

أيد أفراد قبيلة دويح في الجزيرة أبا وأفراد قبيلة دويح في السدر دعوة المهدية ، وأمّر المهدي على أفراد القبيلة في السدر الشيخ إبراهيم أحمد زروق[٤٣].

أيده من القبائل المقيمة في منطقة الجزيرة أبا العمارنة والصبحة في قرية الهجاليج وبايعوه في ظل شجرة هجليج كبيرة شمال القرية ما تزال موجودة ، بايعوه على القيام بأمر الدين[٤٤].. وذهب محمد أحمد المهدي إلى منطقة العرشكول حيث يوجد فيها الذين تخلفوا من قبيلة الصبحة أثناء هجرتهم من إقليم الجزيرة إلى إقليم درافور واتصل بالحاج رابح المجمر* في قريته في الجزيرة . وقد سبق أن التقى محمد أحمد المهدي بالشيخ عبد الباسط بن الحاج رابح المجمر في مسيد الأستاذ محمد شريف نور الدائم في قرية أم مرحي ، وذلك قبل أن ينتقل الأستاذ محمد شريف إلى العراديب على النيل الأبيض .

وشهد الشيخ عبد الباسط لمحمد أحمد المهدي بصفات الزهد والتقوى وسمو الأخلاق ، وكان يتوقع أن تحصل لمحمد أحمد كرامات . وذهب الشيخ محمد أحمد المهدي والشيخ الحاج رابح المجمر إلى الشيخ برير بن الحسين في شبشة ، والشيخ برير والحاج رابح من مشائخ الدين المكرمين في تلك المنطقة . ولم يعترض الشيخ برير على دعوة المهدي له ولم يبايعه . وقد صدّق عبد الباسط بن الحاج رابح المجمر بدعوة محمد أحمد المهدي[٤٥] .

ذهب محمد أحمد إلى الجعليين في الجزيرة أبا وجمعهم وأخذ عليهم القسم على أن لا يفشوا سره ، ثم قال لهم أنه جاءته المهدية . وفي الحال بايعه العوض ود الطاهر ، وتحفّظ الآخرون لعلاقتهم بالأستاذ محمد شريف .

آمنت بدعوة المهدية قبائل دار محارب ، وعيّن المهدي الشيخ موسى أحمد البشير الخنفري أميراً عليهم ليستنفر كل القبائل للجهاد ويقودها[٤٦] .

وقبل ١٦ شوال ١٢٩٩هـ خاطب المهدي الشيخ برير في شبشة – وهو جعلي نفيعابي ، واستنجده لنصرة الدين ، وأن يحرض أصحابه ، وأن يهجم على الترك أو أن يهاجر إليه[٤٧] . ولكن الشيخ برير لم يفعل شيئاً من ذلك .

لم تؤيد قبيلة الجديعات دعوة المهدي والتزموا بإرشادات الأستاذ محمد شريف نور الدائم وظلوا متمسكين بسلسلتهم السمانية[٤٨] .

أما بالنسبة لدغيم فقد حدثت حادثتان كانت لهما الأثر الفعال في علاقتهم بالمهدية والاستجابة لها من أول وهلة وبقوة[٤٩] .

الحادثة الأولى كانت في عهد الحكم التركي ، إذ جاء جباة الضرائب إلى إحدى قراهم وضرب أحد الجباة امرأة وقتلها . فقام أحد رجال القبيلة وقتل الجابي . فجاء الأتراك بقوة عسكرية اعتقلت عشرة من رجال القبيلة وربطتهم جميعا مقرنين ، وذهبت بهم إلى حيث لا يدري أهلهم ، ولم يعد منهم أحد ، وجهل أهلهم مصيرهم . فترك ذلك المشهد والحدث أثراً سيئاً في نفوس كل القبيلة ولم ينسوه للحكومة التركية في السودان ، وكانوا ينتظرون ساعة الانتقام[٥٠] .

لما بدأ محمد أحمد (المهدي) دعوته السرية اتصل بالشيخ محمد مضوي في العليقة وعرض عليه أمر المهدية ، فوافقه عليه وبايعه هو وأولاده برير ومحمد علي والزين وأبو القاسم والطيب وأبناء عمومتهم من قبيلة الأحامدة . وكتب الشيخ محمد مضوي إلى ابنه البشير في قرية خورسي في منطقة بارا وشرح له دعوة محمد أحمد (المهدي) وأنهم بايعوه وطلب منه سرعة العودة لمبايعته . ولبى البشير الشيخ محمد مضوي الدعوة مسرعاً ، ولكنه لما وصل العليقة وجد أهلها غادروها إلى قدير ، ولحق بهم[٥١] .

الثورة الظافرة والهجرة إلى قدير

لما عقد محمد أحمد (المهدي) العزم على الثورة أمر إخوانه بأن يخلو أيديهم من كل ارتباطات في أعمال جديدة لصناعة المراكب[٥٢] . وفي شهر ذي القعدة ١٢٩٧هـ بدأ يخاطب الناس[٥٣] الذين توقع منهم المناصرة . وفي شهر ذي الحجة ١٢٩٧هـ توفي الشيخ القرشي ود الزين[٥٤]، ولم يظهر للباحث الدور الذي قام به الشيخ القرشي في الدعوة المهدية قبل إعلانها ، إن كان له دور فيها غير ما نسب إليه من أنه أسرّ لمحمد أحمد بأنه المهدي المنتظر[٥٥] .

حدد محمد أحمد المهدي السادس عشر من شهر شوال ١٢٩٨هـ لبدء الثورة المسلحة بمهاجمة الترك . ولما علم الحكمدار محمد رؤوف بأمر المهدية كون وفداً برئاسة أبي السعود لما له من سابق معرفة بالشيخ محمد أحمد ، ولعلاقته ببعض أهله . وضم الوفد بعض أقرباء المهدي المشهورين بحصافة الرأي ليلتمسوا حقيقة الخبر ، وأن يراجعوا المهدي إن كان الخبر صحيحاً ويحضروه معهم إلى الخرطوم . وكان عدد أفراد الوفد ، وحراسة الوفد مكونة من ٢٥ جندياً[٥٦] .

قبل أن يتحرك الوفد من الخرطوم أرسل أبو السعود برقية إلى مأمور الكوة ليذهب في صحبة سليمان شاذلي قاضي مركز الكوة ليرفع له معلومات عن المهدي إن كان معه قوات مقاتلة[٥٧] .

في أبا استضاف الرجلين أحد مواطني القرية وهو عبد الرحمن محمود ، وأرسل إلى المهدي يستأذنه لمقابلة رسولي الحكومة ، ورفض المهدي مقابلتهما ، إذ كان معتكفا ، وطلب الرسولان من عبد الرحمن محمود أن يحضر لهما شيخ القرية أحمد شرفي ليأخذا منه المعلومات المطلوبة . وعلما أنه معتكف مع المهدي ، وذهبا إلى منزل عم المهدي أبي هداية في وسط القرية ليستكشفا إن كان هناك جيش أو أي قوة مقاتلة ، ولم يجدا شيئا من ذلك . وهم في منزل أبي هداية أتاهم رسول من المهدي يطلب القاضي سليمان شاذلي لمقابلته . ولم تطل المقابلة بين المهدي والقاضي ، وخرج المأمور والقاضي راجعين إلى الكوة[٥٨] .

ولما وصل وفد أبي السعود إلى الفشاشوية ضمّ إليه مكاوي يعقوب من أخوال المهدي ومحمد أبي شوك المحسي من تلاميذ المهدي[٥٩] ليسهلا . ووصل الوفد إلى الجزيرة أبا في يوم الأحد ١ رمضان ١٢٩٨هـ ١٧أغسطس١٨٨١م ، واجتمع مع أبي هداية وعبد الرحمن محمود ، وأحمد محمد خير ، ومحمد

أحمد الشيخ إدريس ، وعبد الرحمن الحاج علي ، وأحمد شرفي ومحمد شقيق المهدي . وكان المهدي معتكفاً ، وطلب أبو السعود من أقارب المهدي أن يراجعوه وأن يساعدوا مندوب الحكمدار (أبا السعود) في مهمته ، وطلب أبو السعود من المهدي . بعد مقابلته . أن يسافر معه إلى الخرطوم ليقابل الحكمدار ويناقش العلماء[٦٠] . رفض المهدي طلب أبي السعود بالسفر ، ولكن أكد له أنه المهدي المنتظر وأنه ولي الأمر في ذلك الزمان . وطلب المهدي من أبي السعود أن ينقل كلامه للحكمدار[٦١] .

وفي يوم الاثنين ١٢ رمضان ١٢٩٨هـ (١٨أغسطس١٨٨١م) سافر المهدي إلى الكوة وأرسل من مكتب بريدها برقية إلى الحكمدار بالخرطوم يخبره بأنه المهدي المنتظر ، وإن من عاداه يهلكه الله[٦٢] . ثم وجه المهدي دعوات إلى جميع القبائل التي اتصل بها من قبل في منطقة الجزيرة أبا أو تلك التي تسكن بعيدا عنها في النيل الأبيض يقول لهم (.... يوم الجمعة عندنا كرامة* والبقدر منكم يحضرها ، أو يقول الداير ** ملاقاة الله يجينا)[٦٣] .

فاستجابت له بعض القبائل في منطقة الجزيرة أبا وأول وفد قدم عليه تلبية لتلك الدعوة كان وفد قبيلة دغيم وفيهم محمد ولد بلال ، وموسى ولد محمد حلو ، ومهلة ولد محمد وهم رؤساء القوم[٦٤] .

وأتاه من قبيلة الصبحة الضو محمد إدريس ، وعلي الفرضي ، وبابكر محمد ، وحسين محمد يوسف ، والحاج حامد ناكلوه ، وموسى ولد عبد القادر[٦٥] وغيرهم من القبائل مثل قبيلة العمارنة والحسنات واللحويين ودويح والفلاتة . وكون المهدي منهم جيشاً بلغ عدده ٣١٣ مقاتلا[٦٦] . وبينما كان المهدي في حالة استعداد رجع أبو السعود إلى الجزيرة أبا في قوة من الجيش التركي عدد أفرادها مابين ٦٥٠ و ٨٥٠ فرداً في وابور ليحمل المهدي إلى الخرطوم حياً أو ميتًا . ولما وصلت حملة أبي السعود إلى الفشاشوية أسرع أقارب المهدي إلى الجزيرة أبا وأخبروا المهدي بخبر الحملة . ووصلت الحملة إلى الجزيرة أبا عشاءً[٦٧] . رتب المهدي جيشه . وقسم أفراده إلى تشكيلات عسكرية صغيرة ، وعين على كل تشكيلة مقدم . والتشكيلة مكونة من عشرة أشخاص ونذكر من المقدمين الآتية أسماؤهم :-

١/ عمر اللحوي ٢/ عمر السروابي ٣ / الشيخ عيسى العباسابي ٤ / الشيخ محمد الضواها ٥ / الشيخ الأمين محمد ٦ / الشيخ عبد الله ود النور ٧ / الشيخ إدريس الشاعر ٨ / الشيخ عبد القادر مدرع ٩ / الشيخ عبد الله العبيسابي ١٠ / الشيخ علي محمد سعيد الدويحي ١١ / السيد أبو هداية مزمل (عم المهدي) ١٢/ السيد محمد عبد الله (شقيق المهدي) ١٣ / عبد الرحمن حاج علي ١٤/ عبد الرحمن محمود ١٥/ الشيخ ضو الدين ولد زلفى ١٦/ الشيخ موسى ولد حلو ١٧/ عبد الله ولد سوار محمد بلال ١٨/ الشيخ ادم اللعيسر ١٩/ محمد ولد المدني (ابن عم اللعيسر) ٢٠/ أمين ، قريب ادم اللعيسر ٢١ / بابكر ولد عامر [٦٨]. وهم من مختلف القبائل التي سبق له أن اتصل بها أو راسلها ، من النيل الأبيض ومن خارجه .

أعد المهدي خمس رايات كتب عليها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، وكتب على أربعة فيها أسماء أربعة من الأولياء وكل اسم على راية والأولياء هم :-

الجيلاني ، وأحمد الرفاعي ، وإبراهيم الدسوقي وأحمد البدوي . والراية الخامسة كتب عليها (محمد المهدي خليفة رسول الله) ، وعلى أعلاها كتب (يا الله ، يا حي ، يا ذا الجلال والإكرام) ٠ ونصب المهدي بجيشه كميناً في مكان نزول جيش الحكومة . وفي قوات المهدي بعض الزنوج يحملون سلاحاً ناريا[٦٩] ٠ً واختبأوا حتى وصل الجيش إلى موضع المعركة .

نزل العساكر من الوابور في منجرة ولد أبي شوك بالقرب من منجرة (السيد طه) يتقدمهم صاغ أسمه إبراهيم أفندي . وتقدم الجيش في اتجاه القرية التي يقيم فيها المهدي ، وكانت رايات جنود المهدي مرفوعة ، فرآها الجيش وحسبوها قبوراً ، ثم اصطدم الجيشان . ومع بداية المعركة حملت قوات المهدي على قوات الجيش التركي حملة قوية أهلكتهم ولم ينج من أفرادها إلا من استطاع الهروب ونجح حتى وصل إلى الوابور ، حيث أُقلعت بهم راجعين إلى الخرطوم يحملون نبأ الهزيمة والتقارير الملفقة .

كانت خسائر الجيش التركي ١٢٠ قتيلاً من الأفراد و٦ قتلى من الضباط[٧٠] وغنم المهدي سلاح العدو ووزعه على جنوده[٧١] بعد المعركة . ولنقرأ للمؤرخ Theobald وصف المعركة الشرسة في ما يلي من الترجمة :-

رست الباخرة على شاطئ النيل في أبا في ظلام دامس . وكان جنود الحملة في شوق شديد وتلهف منقطع النظير لإعتقال المهدي ، ونزل الجنود في ربكة شديدة وعدم انتظام وشقوا طريقهم في عجلة وبصعوبة عبر الأوحال وبين الحشائش الكثيفة حتى يتمكنوا من الانقضاض على ضحيتهم المرعوبة

قبل أن تفلت منهم في الظلام . ولم يذهبوا بعيداً حتى وجدوا أنفسهم محاطين من كل جانب بمجموعة من أصحاب المهدي في حالة هياج وتكبير ، وهم لا يستطيعون رؤيتهم لتصويب نيرانهم إليهم . وكانت المفاجأة حين تمت إبادة كل قوة الجنود إلا قليلاً منهم تمكنوا من الفرار وسبحوا عائدين إلى باخرتهم ، حيث قائدهم أبو السعود قابع بداخلها ليحمل إلى حكومته في الخرطوم تقريراً ملفقًا عن تلك الكارثة[٧٢] .

كانت خسائر جيش المهدي في تلك المعركة ثلاثة عشر شهيداً منهم عشرة شهداء من قبيلة دغيم وهم :-

١/ بلة محمد ٢/ محمد علي ٣/ إبراهيم علي (شهير بإبراهيم هانديت) ٤/ علي عبد الله ٥/ علي نافع ٦/البشير نافع ٧/ علي شعاع الدين ٨/ ادم ود البغدادي ٩/ محمد الضواها ١٠/ محمد بله ، وهذا جرح في المعركة ولما عبر جيش المهدي النيل الأبيض في طريقه إلى قدير توفي بالبر الغربي للنيل ، ودفن على الشاطئ . وقبره الآن معروف هنالك[٧٣] ولما عبر جيش المهدية النيل الأبيض لبس عشرة من رجال دغيم الزي العسكري الرسمي وحملوا البنادق الحكومية التي غنموها من عساكر الحكومة الذين قتلوا في معركة الجزيرة أبا ، وذلك إشارة رمزية إلى ارتياحهم بأنهم نالوا من الحكومة التركية ثأرهم في رجالهم العشرة الذين سبق أن اعتقلتهم الحكومة وأعدمتهم[٧٤] وذلك يؤكد أن دوافع الانتقام من الحكومة التركية لمعاملتها القاسية كان من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القبيلة إلى سرعة الاستجابة لنداء الثورة . وكثرة الشهداء من أفراد هذه القبيلة مؤشر مهم جداً إلى نسبة المشاركين منهم في المعركة إلى العدد الكلي للمجاهدين فيها . وهاجر جميع أفراد هذه القبيلة إلى قدير مع المهدي . صحب المهدي في هجرته من الجزيرة أبا إلى قدير ، منذ صبيحة اليوم التالي للمعركة ، بعض القبائل منها ، مثلاً ، قبيلة الحسنات يقودها الشيخ عبد القادر ود مدرع ، والدناقلة ، سكان قرية أم غنيم ، وقبيلة دويح يتقدمها على محمد سعيد رحمة وأحمد بركات والشيخ العبيد الشيخ الضو وموسى ود إدريس واللّحيو الفرجوني[٧٥] . ومن الشخصيات الوطنية اثنا عشر فرداً يتقدمهم عبد الرحمن النجومي ، وهو من منطقة القطينة في شمال النيل الأبيض[٧٦] .

ولم يرجع الأحياء منهم إلى مناطقهم التي نزحوا منها إلا بعد معركتي كرري وأم دبيكرات[٧٧].

يرى الباحث أن هاك عدة أسباب فرضت على المهدي الهجرة من هذه الجزيرة منها: عدم صلاحية الجزيرة أبا لاستمرار الثورة فيها وإدارة المعارك منها لكونها جزيرة يسهل حصارها بأقل قوة ، أو لقربها من عاصمة الدولة مما يمكن الحكومة من إرسال المدد السريع عند الحاجة ، وحتى لا تحصر حركة قائد الثورة ويعزل عن حركة الجماهير المقبلة عليه . لكل ذلك هاجر منها إلى قدير حيث يقيم صديقه ونصيره الملك ادم أم دبالو ، لبعد قدير عن مركز الدولة (الخرطوم) مما يجعل جيشه في وضع مريح والجيش المرسل لحربه في إرهاق شديد يضعف قدرته على القتال ، وليتمكن المهدي من أن يقطف ثمرة طوافه السابق على أقاليم كردفان بتدفق هجرات المجاهدين إليه في إقليم قريب ومفتوح .

مما سبق ذكره أخلص إلى النقاط التالية :

١- إذا كان لابد للثورة من فكرة تقوم عليها ويقتنع بها الناس لتأييدها والانفعال معها فإن محمد أحمد المهدي جعل القيام بأمر الدين أساسًا لدعوته .

٢- وإن كان المكان الأمين الحصين ضرورياً فقد جعل محمد أحمد المهدي جبال النوبة داراً لهجرته يتمركز في تقلي لوثبات كبرى .

٣- وإن كان لابد لقائد الثورة من نصير بعد الله ، يعينه فقد أحاط محمد أحمد المهدي جميع القبائل في منطقة الجزيرة أبا خصوصاً وجميع القبائل وقيادات الطرق الصوفية في النيل الأبيض عموماً ، بل وجميع الناس الذين يعرفهم في كل أنحاء السودان ، بما يريد . وطلب منهم النصر والتأييد . ثم أنه أتم الاتفاق مع قيادات القبائل في كردفان ومع ملك جبال تقلي . وكيفما كانت قوته في الجزيرة أبا فهي قوة تصلح أن تدفع وثبة الثورة في بداية الانطلاق .

٤- وإن كانت الخطة المتقنة هي سر نجاح الثورة فقد قرر المهدي أن يضرب الضربة الأولى في الجزيرة أبا ثم يثب إلى جبال النوبة الوعرة البعيدة عن مركز الدولة . وهناك عندما يجتمع عليه من خاطبهم من أهل السودان بعزم رجالهم يبدأ بتقطيع البلاد من أطرافها شيئاً فشيئاً حتى يحصر نفوذ الحكومة في عاصمتها ، ثم يضرب الضربة القاضية ويستلم زمام الأمور .

إذاً لم تكن الثورة المهدية انفجار عواطف عارض ، ولا هي هياج دهماء تعبر عن سخطها للحكم وقتها فحسب وإنما كان لها هدف وفكرة ، واتخذت لها مركزاً بعد دراسة وتروي ، وكانت لها خطة محكمة .

لكل ذلك يرى الباحث أن الثورة المهدية ثورة واعية لأهدافها ، وعالمة بما يحيط بها ، متحسبة لأقدارها ، مستنصرة بالله .

النتائج

في قدير تجمع صف الثوار من كل حدب وصوب . وتوسع المعسكربصورة لم يسبق لها مثيل . تجمعوا من شتى قبائل السودان ، بكل ثقافاتهم في المأكل والمشرب ، وقي العادات والتقاليد ، وفي

اللهجات وسبل كسب العيش . فأصبح معسكره مدينة تمتزج فيه كل الأعراق ، في انسجام تام ، لأن الذي وحدهم حب الحرية للوطن الذي أصبح يسع الجميع ، ولأول مرة في تاريخ الوطن يضمحل الشعور القبلي في ظل تنامي الحس الوطني الجارف ، ووحد هؤلاء أيضاً حب هذا الزعيم الذي أصبح رمزاً لكل قبيلة ولكل طموح ، ويجسد أمل المغلوبين . بمعنى أن ذابت النعرات القبلية تماماً لأول مرة في تجمع بشري هائل في مثل هذا المعسكر .

وفي هذا المعسكر وضع الإمام أسس تنظيم الدولة الوطنية التي بدأت ملامح نصرها تضح . فوضع أسس الإدارة السياسية بم تقتضيه طبيعة الرحلة من تحسباً لما تقتضيه أقدار الجهاد من شهادة أو إعاقة للقيادة العليا . عين خلفاءه بترتيب يقطع دابر النزاع المفضي إلي الفشل حسب ما يعرفه من كفاءات كل منهم . الأول عبد الله بن محمد ، يليه علي بن حلو، ثم محمد شريف . وهي قسمة متوازنة للسلطة بين الأقاليم . وأنشأ داراً للمال المتجمع من الغنائم والزكوات والعشور والغرامات سماها بيت المال ، وعين لإدارتها محمد سليمان . وأنشأ مؤسسة للقضاء يقوم عليها أحمد جبارة[٧٨] .

انتصرت الثورة في قدير في ثلاث معارك حاسمة على جيوش الحكومة ، وانتقلت إلى الغرب . حيث استلمت جيوش الثورة عواصم كل الأقاليم ، بارة والأبيض ودارة والفاشر وبحر الغزال ، ثم تحركت واستولت على الخرطوم ، وأنشأ الإمام المهدي عاصمة دولته في أم درمان .

حكمت المهدية ستة عشر عاماً (١٨٨١ . ١٨٩٨م) ، تضافرت فيها عوامل داخلية وخارجية أدت إلى سقوطها على أيدي القوات الإنجليزية المصرية تحت قيادة كتشنر .

الخاتمة

وسطية الموقع الجغرافي لإقليم النيل الأبيض في السودان مكن الناس من التعرف علي شخصية الإمام المهدي ، إذ كان المسافرون وبعض موظفي الحكومة يزورون الشيخ محمد أحمد (المهدي) في طريق رحلتهم إلى الجنوب أو إلى الشمال ، وفي طريق رحلة الحجاج من غرب السودان خاصة ومن غرب أفريقيا عامة وفي طريق عودتهم ، ويشهدون بصلاحه وولايته الدينية والسلوكية عند من يصلون إليهم في الأقاليم البعيدة ، فيحدث ذلك محبة ورغبة عند من لم يره أن تهيأ له فرصة زيارته والتبرك بلقائه ، فيبني ذلك العمل جسراً من الثقة وحب التواصل في نفوسهم بينهم وبين الولي الصالح في الجزرة أبا .

ويمكن وسطية الموقع الجغرافي من الإتصال بسهولة بالقيادات الوطنية في شمال البلاد وفي جنوبها عن طريق المسافرين بالمراكب لأغراضهم الخاصة ، وعن طريق الحجاج ذهاباً وإياباً ، إذ كان يحملهم رسائل تهيؤهم للحدث الكبير الذي يعد له بعبارات تلميح لمن أوتي الفطنة لفهم الخطاب ، كرسالته إلى

قاضي بلدة فشودة في جنوب البلاد الضو ود سليمان ، والمعلومات التي نقلها الحجاج إلى دار فور وإلى مواطني الخلافة الصكتية وتجاوب معها أحفاد الشيخ عثمان دانفوديو .

وكما شهدت ولاية النيل الأبيض ميلاد الثورة الظافرة في الجزيرة أبا كانت نهايتها فيها في أم دبيكرات ، غرب مدينة كوستي . وذلك أيضاً لوسطية المكان ، لأن الخليفة عبد الله عنما أخلى عاصمة بلاده تاكتيكياً ، وانسحب إلى داخل بلاده ليجمع قوة من الوطنيين المجاهدين ليعود بهم لملاقاة العدو في معركة فاصلة كان لابد له أن يعبر إقليم النيل الأبيض حيث جرت المعركة المتوقعة ، فكان إستشهاد الخلخليف في مشهد بطولي ، وكانت نهاية دولة المهدية .

التوصيات

خلاصة لما سبق من سرد تاريخي يوصي الباحث بإنشاء متحف في الجزيرة أبا ، مهد الثورة ، تجمع فيه آثار المهدية من أسلحة وملابس وغيرها ، إضافة إلى الآثار الشعبية منذ ذلك الزمان ، والتي هي الآن في مرحلة الإنقراض .

يوصي الباحث بتنفيذ إنشاء معهد الدراسات المهدوية المخطط له أصلاً في برامج جامعة الإمام المهدي منذ نشأتها في سنة ١٩٩٤م ، ليقوم بدراسة وثائق المهدية ، وما انبنى عليها من آثار مختلفة حتى الآن .

يوصي الباحث بإنشاء دار وثائق ولائية في النيل الأبيض تشتمل على الملفات والوثائق الرسمية التي انتهى العمل فيها . وذلك لما شاهده الباحث من أوراق مهمة جداً مبعثرة في بعض المرافق الحكومية تخص مؤسسات أو تمس حقوق أفراد أو جماعات أو نظم عامة . تشمل وثائق تاريخية مهمة في أيدي أفراد أو مخزنة في مباني مهلهلة تقضي عليها عاديات الطبيعة من رياح وأمطار وحشرات الأرض ، كما شاهدته في مخازن دائرة المهدي في الجزيرة أبا .

هوامش البحث

[١] نعوم شقير ، تاريخ السودان الحديث ، تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم ، دار الجيل ، بيروت، ١٩٨١م ، ص ٣٢٣ .

★ علي المهدي هو ابن الإمام محمد المهدي من زوجته النعمة بنت القرشي ود الزين . ولد بعد وفاة أبيه

[٢] على المهدي ، جهاد في سبيل الله ، أشرف على إعداد عبد الله محمد أحمد حسن ، المطبعة الحكومية (السودانية) ، ١٩٦٥م ، ، ص ٢ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٢ .

[٤] المصدر السابق ، ص ٣ .

[٥] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢١ . أنظر علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ٣ و ص ٤ .

★ هو تلميذ الفكي الأمين ود ام حقين ، أنظر علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ٤ .

[٦] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٢ . وأم مرحي تقع شمال أم درمان على شاطئ النيل الغربي على جبل يسمى جبل السلطان . أنظر علي المهدي ، مصدر سابق ص٥

[٧] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٢ .

[٨] ،نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص٣٢٣ .

[9] مكي الطيب شبيكة ، السودان والثورة المهدية ج ١ ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الخرطوم ، ١٩٧٨م ، ص ٢٢ .

١٠ نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢١ .

• عصيدة تجفف بالنار حتى تتفتت تصنع منها الخمور البلدية (المريسة) عن عبد الله بن عمر أنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها".) تفسير البغوي ، الباب ٩٢ ، الجزء ٣ ، ص ٩٥ (أنظر المكتبة الشاملة على الكمبيوتر) .

[11] مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

١٢ ♥ علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ٥ .أنظر ب.م. هولت ، دولة المهدية في السودان ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٢ ، ص٢٩ .

♣ يقصد بها القوز الكبير .

♦ يعني الطريق رقيق جدا وسط الغابة ومتعرج .

♠ الفروة بساط صغير من الجلد يفرش لأداء الصلاة .

١٣ حمد فضل المولى حمد ، مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨،٥،٣١م ..

® مكان خفي (حفرة في الأرض) للعبادة . والغار الذي اتخذه الشيخ محمد أحمد عبارة عن حفرة ذات عمق ، لينعزل فيها عن الناس وينقطع للعبادة .

ﻍﻍ ممارسة الذكر ومجاهدة النفس تعرف عند المتصوفة بالرياضة الروحية . أنظر عبد المحمود نور الدائم ، أزاهير الرياض ، مطبعة مصر، ١٩٥٤م، ص٥٣ .

¥ هم العمل للدار الآخرة ، والمعروف أن الدين الإسلامي عمل وعبادة ، وهي أمور بدهية ، (ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) سورة البقرة الآية (٢٠١) .

١٤ سورة القصص ، الآية (٧٧) .

١٥ ب . م هولت ، دولة المهدية في السودان ، دار الجيل ، بيروت ، (بدون) ، ص ٢٩ .

١٦ الضو إدريس الضو إدريس ،، ميلاد ١٩٣٧م ، يسكن الهجاليج (ربك) ، القبيلة صبحة ، مزارع يسكن ، مقابلة معه بتايخ ٢٣م٤م١٩٩٨م .

١٧أحمد عجبة بله : ميلاد ١٩٣٨م ، ربك ، القبيلة كبيشابي يسكن ربك وكيل ناظر دار محارب ، مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٦/١٥م ..

١٨ محمد إسماعيل أبو قرجة ،، الميلاد .١٩٤م ، يسكن قرية أم غنيم (كوستي) ، دناقلة ، مزارع ، مقابلة معه بكوستي بتاريخ ١٨/ ٣ /١٩٩٨م .

سبق ذكره .

١٩ البلة الخليفة عبد الله الشيخ البشير محمد مضوي ، ٥٨ سنة ، مقابلة معه في قرية العليقة بتاريخ ٢١ /٦ / ١٩٩٨م .

• بنت زوجته من رجل آخر .

٢٠ علي آدم عليان ، ميلاد :١٩٥٧م ، يسكن كوستي، وزير بحكومة ولاية النيل الأبيض ، القبيلة دغيم . مقابلة معه بتاريخ ٣/٥/ ١٩٩٨م

* لم تكن في الجزيرة أبا خلوة لتدريس القرآن في ذلك الوقت ولا في القرى التي حولها شرق وغربا .

* قرية تقع جنوب غرب الدويم على بعد ٣٠ كيلو متر تقريباً

[٢١] الهادي عبد الرحمن مزمل ، عمدة قبيلة دويح ، ميلاده حوالى سنة ١٩٦٥م ، مقابلة معه في قريته أم تكال . جنوب الدويم . بتاريخ ٨ / ٤ / ١٩٩٨م .

[٢٢] عبد الخالق أحمد عبد الخالق ، مساعد طبي أسنان ، الميلاد ١٩٥٦م تقريباً ، يسكن تندلتي، مقابلة معه في كوستي ١٣ مارس ٢٠٠٧م .

[٢٣] جعفر علي عبد المجيد وزملاؤه . ، القطينة عبر الأزمان (معد للطبع) ، ١٧ / ٩ / ٢٠٠١م ، ص٦٧ .

[٢٤] د . محمد إبراهيم أبو سليم ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، ج١ ، الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٧ .

[٢٥] مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ص٢٣ ، نقلا عن كاساني (عشر سنين في الإستوائية . والرجوع مع أمين باشا) . أنظر ب . م . هولت ، مصدر سابق ، ص ٢٩ .

* محل إقامة ثاني للأستاذ محمد شريف غير أم مرحي .

[٢٦] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص٣٢٤ .

[٢٧] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ ص ٣٢٦ . أنظر مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ٢٧ .

[٢٨] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص٣٢٤ * الآية (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) هود.١١٢

[٢٩] محمد شريف نور الدائم ، قصيدته النصيحة أو الرائية ، أنظر المصدر السابق.

[٣٠] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص٣٢٤ * الآية (فاستقم كما أمرت ومن تاب مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بما تعملون بصير) .

[٣١] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ .

[٣٢] إبراهيم شحاته حسن ، أمارة الإسلام المهدية في السودان ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ، ص ٤٨ .

[٣٣] A . B Theobald , The Mahdia , William, London,1955, p 28 ، أنظر أبو حامد الغزالي ، مصدر سابق أحياء علوم الدين ، دار الشعب ، القاهرة ، (بدون ت) ص ١٤٧٥ .

[٣٤] أبو حامد الغزالي مصدر سابق ، ص ١٤٧٨ . أنظر تقي الدين أحمد بن تيمية ، الفرقان بين الحق والباطل ، بيروت ، (بدون ت) ، ص ٦٥ .

[٣٥] على المهدي ، مصدر سابق ، ص ٥ ..

• مازالت خلاوي القرآن في مساجد السمانية عامرة بين أيدي أحفادهم حتى الآن . ومازالت مساجدهم عامرة بحركة المريدين الذين يطلبون الإرشاد في دينهم على أيديهم .

[٣٦] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٤ .

* رضخ جسمه أي كسره وهشمه .

[٣٧] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٥ . أنظر إبراهيم شحاته حسن ، مرجع سابق ، ص ٤٧ .

[٣٨] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص٣٢٥ . أنظر ب . م . هولت ، مصدر سابق ، ص٣٣.

* سلك السيخ القرشي ود الزين الطريقة السمانية على الشيخ أحمد الطيب البشير مؤسس الطريقة في السودان . أنظر نعوم شقير، مصدر سابق ، ص٣٢٦. .

[٣٩] ب . م . هولت ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .

[٤٠] المصدر السابق ، ص ٣٣ .

[٤٢] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٢٨ . أنظر مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ص ٣٤

- ، هي قميص طويل فضفاض .
- هي شن الحرب والإغارة .

[٤٣] على المهدي ، مصدر سابق ، ص ٥

[٤٤] محمد إسماعيل أبو قرجة ، مقابلة سبق ذكرها .

[٤٥] محمد إبراهيم أبو سليم ، مصدر سابق ، ص ١٧٧ .

[٤٦] الضو إدريس الضو ، مقابلة سبق ذكرها ، أنظر مكي يوسف محمد موسى ، الميلاد ١٩٤٨م ، مقابلة معه في دكان أحمد الطيب الفنقلم بربك بتاريخ ٢٣،٤،١٩٩٨م .

[٤٧] عمر الشيخ سالم الحاج رابح ، ٧٢ سنة ،مقابلة معه في منزله بالدويم ، بتاريخ ١٩م٦م١٩٩٨م .

[٤٨] محمد إبراهيم أبو سليم ، مصدر سابق ، ص ١٧٣ . أنظر أحمد عجبة ، مقابلة سبق ذكرها .

[٤٩] على آدم على عليان، مقابلة سبق ذكرها .

٥٠ على آدم على عليان ، مقابلة سبق ذكرها .ة سبق ذكرها

[٥١] البلة الخليفة عبد الله الشيخ البشير محمد مضوي ، ٥٨ سنة ، مقابلة معه في قرية العليقة بتاريخ ٢١،٦،١٩٩٨م

[٥٢] مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ص.٣٢

[٥٣] مكي الطيب شبيكة ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

[٥٤] المرجع السابق ص ٣٢ . أنظر أيضا نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص ٣٢٦ .

[٥٥] ، ب . م هولت ، مرجع سابق ، ص ٣٤ ..

[٥٦] علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ٦ و ص .٧

[٥٧] علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ٦ و ص ٧ .

[٥٨] المصدر السابق ، ص٧

[٥٩] المصدر السابق ، ص ٧ .

[٦٠] المصدر السابق ، ص٩ .

[٦١] المصدر السابق ، ص ١٠ .

[٦٢] المصدر السابق ، ص ١٢ .

[٦٣] علي ادم علي عليان ، مقابلة سبق ذكرها .

* قصد بها محمد أحمد (المهدي) معركة جهادية أي كرامة عند الله .

** الداير في العامية السودانية تعني الذي يريد .

[٦٤] علي ادم علي عليان ، مقابلة سبق ذكرها .

[٦٥] علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ١٣ . ,

[٦٦] المصدر السابق ، ص ١٣ .

[٦٧] المصدر السابق ، ، ص ١٤ ، لم أجد بيانا لسبب إختيار هؤلاء القادة ، ويرى أن إختيارهم تم على أساس قربهم من محمد أحمد (المهدي) لمعرفته الشخصية لدرجات فهمهم لدعوته وحماسهم لنصرتها . وأرجح أن يكون محمد أحمد إستأنس في هذا الإختيار بمشورة قبائلهم .

[٦٨] المصدر السابق ، ص ١٤ . .

[٦٩] علي المهدي ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

٧١ نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٣٨ .

[٧٢] . A . B. Theobald 0P – cit . 34-35

[٧٣] علي ادم عليان ،مقابلة سبق ذكرها . أنظر إسماعيل عبد القادر الكردفاني ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .

٧٤ علي ادم عليان ، مقابلة سبق ذكرها .

[٧٥] عبد القادر علي بابكر ، مقابلة سبق ذكرها .

[٧٦] علي ادم عليان ، مقابلة سبق ذكرها .

[٧٧] علي ادم عليان ، مقابلة سبق ذكرها

[٧٨] نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص ٣٥٠ . ٣٥١ .

مراجع البحث

المصادر العربية

١ . إبراهيم شحاته حسن ، أمارة الإسلام المهدية في السودان

٢ . أبو حامد الغزالي ، مصدر سابق أحياء علوم الدين ، دار الشعب ، القاهرة

٣ . ب . م هولت ، دولة المهدية في السودان

٤ . جعفر علي عبد المجيد وزملاؤه ، القطينة عبر الأزمان (معد للطبع) ،

١٧ / ٩ / ٢٠٠١م

٥ . على المهدي ، جهاد في سبيل الله ، أشرف على إعداد عبد الله محمد أحمد حسن

٦ . محمد إبراهيم أبو سليم (دكتور) ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، ج١

٧ . مكي الطيب شبيكة ، السودان والثورة المهدية ج ١

٨ . نعوم شقير ، تاريخ السودان الحديث ، تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم.

٩- محمد شريف نور الدائم ، قيدته (النصيحة)

المصادر الأجنبية

A . B Theobald , The Mahdia , William, London, 1955

المقابلات الشخصية

١ . أحمد عجبة بله : ميلاد ١٩٣٨م ، ربك ، القبيلة كبيشابي يسكن ربك وكيل ناظر دار محارب

٢ . الضو إدريس الضو الفبيلة صبحي، الهجاليج ، مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٣ بربك.

٣ . البلة الخليفة عبد الله الشيخ البشير محمد مضوي، مقابلة معه بقرية العليقة في ١٩٩٨/٦/٢١م.

٤ . الهادي عبد الرحمن مزمل ، عمدة قبيلة دويح ، ميلاده حوالى سنة ١٩٦٥م ، قريته أم تكال . جنوب الدويم.

٥ . حمد فضل المولى حمد ، مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٥/٣١م.

٦-عبد الخالق أحمد عبد الخالق ، مساعد طبي أسنان بتندلتي ، مقابلة معه بكوستي في ٢٠٠٧/٣/١٣م.

٧. علي آدم عليان ، ميلاد :١٩٥٧م ، يسكن كوستي، وزير بحكومة ولاية النيل الأبيض ، القبيلة دغيم ، مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٥/٣٠م.

٨. عمر الشيخ سالم الحاج رابح ، الدويم . مقابلة معه بتاريخ ١٩٩٨/٦/١٩م.

٩. محمد إسماعيل أبو قرجة ،، الميلاد .١٩٤م ، يسكن قرية أم غنيم . مقابلة معه في كوستي بتاريخ ١٩٩٨/٥/٢٠م

١٠- مكي يوسف محمد موسى ، الميلاد ١٩٤٨م ، مقابلة معه في دكان أحمد الطيب الفنقلم بربك بتاريخ ١٩٩٨/٤/٢٣م

.